رسالة اجتماعية

قال ابن شرف القيرواني واصفاً اضطراب الحالة النفسية لأحد المساجين متحدثاً بلسانه :

" قد حُكِمتُ بسجن الأشباح ، وهي سجون الأرواح ، فامنَنْ على ما شئت منها بالسَّراح ، فالحبسُ نَزَّاع الأرواح ، والغفلة أختُ القتلة ، وكلاهما فَقد ، ومهدرٌ للخطوب ونقد ، وإنما بينهما نفس متصاعد ، وأجلٌ متباعِد " .

مقدمة :

فن الرسائل فن من الفنون الأدبية النثرية التي سادت في العصر الأندلسي سيادتها في العصور العربية الأخرى، وكان لها عند الأندلسيين قسمان : قسم غايته محاكاة الأشياء أو التأمل في بعض المشكلات ومناقشتها من دون الالتفات إلى الأسلوب البياني والبلاغي، وقسم آخر بياني النزعة غايته إظهار البراعة الأسلوبية والبلاغية وهناك رسائل تجمع بين هذين القسمين. والرسالة التي بين أيدينا بيانية النزعة؛ غايتها إظهار البراعة الأسلوبية والبلاغية ، وهي من الرسائل الاجتماعية ، صوّر فيها ابن شرف القيرواني اضطراب الحالة النفسية لأحد المساجين .

- **معاني النص :**

الرسالة واضحة في مبتغاها وهو تصوير حالة السجين الذي أفنته القضبان ومنعته من تنسّم عليل الحرية ، فلا حياة مجتمعية في السجن ، وكل ما فيه مدعاة للكآبة

والحزن والهمّ ، فالفقد للأحبة والأيام المتكرّرة في سجنه على صورة واحدة خالية من كل مغامرة ، بل وجعله غافلاً عن كل ما يجري في أرض الحرية والسعادة .

هي مجرّد صرخة من سجين افتقد لمجتمعه ففقد فيه كل أسباب الحياة والسعادة .

- **رموز النص التي استخدمها الكاتب ودلالاتها:**

من الواضح منذ بداية الرسالة أن السجين يعاني من الوحدة ولا يجد من يبادله أطراف الحديث بدلالة قوله في الجملة الأولى (قد حُكِمت بسجن الأشباح) ، والوحدة تدفع المرء إلى الشعور بغياب كل الأحاسيس البشرية التي تجعل الإنسان يمضي قدما في الحياة ويشعر بالأمل لأن السجن – حسب رأيه سجنٌ للأرواح قبل الأجساد ، والحرية أمنية كل سجين يحلم بالحرية ويرغب في العودة إلى المجتمع المفقود في سجنه الذي غيّب عنه كلّ ما يتمنى أن يراه ويحياه ، وجعله غافلاً عنه ، وغفلته عن أحبته خارج السجن تساوي الموت ، وفقده إياهم يساوي الموت ، والحياة الروتينية في سجنه بعيداً عن مواجهة الحياة على الرغم من كثرة الصعوبات والخطوب فيها مدعاة للشعور بفقدان الإحساس بالحياة ، والإحساس ببطء الزمان خلف قضبان السجن يثير في نفسه المضطربة كل أحاسيس اليأس وانعدام الفرص في العودة إلى حياة الحرية خارج السجن .

- **المؤثرات المشرقية :**

لا يمكن للكاتب أن يلتزم القالب المشرقي في مثل هذا النوع من الرسائل الاجتماعية ، بل عليه الخروج منها بما يناسب مضمونها ، لاسيّما أن الكاتب قد صاغها على لسان سجين يبث لنا حزنه ووحدته وفقده ويأسه ، لكننا نلمح الأثر المشرقي في لجوء الكاتب إلى التفصيل والعطف بين الجمل متأثراً بالأسلوب الجاحظي في صياغة الرسائل .

- **الأساليب البلاغية واللغوية والتصويرية والفنية :**

١- <u>السجع</u> :

كما جرت العادة في معظم الرسائل الأندلسية كان السجع في رسائلهم عفوياً بعيداً عن التكلّف في جمل موجزة مثل (الأشباح ' الأرواح ، السراح ، فقد ، نقد ، متصاعد ، متباعد) .

٢- <u>البديع</u> :

المحسنات البديعية واضحة في الرسالة أضفت إليها زينة لفظية ونغماً موسيقياً جميلاً في اعتماده على الجناس مثل (الأشباح / الأرواح ، الغفلة / القتلة ، فقد/ نقد ، متصاعد / متباعد) .

أما الطباق مثل قوله (سجن /السراح) و (الأرواح / القتلة) يتضح فيهما التناقض الحاد بين الشعور بالحرية وفقدانها وبين الحياة خارج السجن والإحساس بالموت داخل جدرانه .

٣- **الألفاظ والتراكيب** :

السهولة والبساطة والوضوح والإيحاء بما يبتغيه الكاتب في رسالته في بثّ همّه وحزنه ويأسه بين الجدران من أبرز سمات الألفاظ ، مثل (حكمت ، سجن ، الأشباح ، الحبس ، الأرواح ، الغفلة ..)

أمّا التراكيب فقد كانت مترابطة منسجمة مع بعضها ومناسبة لأداء المعاني التي أراد الكاتب إيصالها.

٤- **الجمل الفعلية والاسمية** :

لم يعتمد الكاتب في رسالته على الأفعال كما مرّ معنا في الرسائل السابقة ، وإنما بدأ رسالته بالفعل الماضي (حُكِمتُ) ليدل على تحقق وثبات وقوع الراوي في السجن ، وكان اعتماده في باقي نص الرسالة على الجمل الاسمية ، مثل (هي سجون الأرواح ، فالحبسُ نَزَّاع الأرواح ، الغفلة أختُ القتلة ، كلاهما فَقد ، وإنما بينهما نفس متصاعد) ، ليدلّ على ثبات الحالة النفسية المتردّية للسجين خلف القضبان وتوقه إلى الحرية ويأسه من نوالها .

٥- **الصور** :

حفل النص بمجموعة من الصور كانت خير عون في إيضاح معاناة السجين وتصوير سوء حاله في سجنه مثل (سجون الأرواح) ، (الحبس نزّاع الأرواح) ، (الغفلة أخت القتلة) .

٦- **المعجم الدلالي** :

معجم (السجن) كان واضحاً في نص الرسالة ، وقد استطاع الكاتب من خلاله التعبير عن حال السجين ومعاناته في سجنه ، وكان المعجم دليلاً يوصل القارئ بوضوح إلى فهم وضع السجين النفسي ومعاناته الكبيرة .

" حُكِمتُ ، سجن ، سجون ، السَّراح ، الحبسُ ، نَزَّاع ، الأرواح ، القتلة ، فَقد ، مهدرٌ ، نقد ، أجل " .

- **خاتمة :**

- إن النثر في العصر الأندلسي لبس أثواباً عديدة وكان في بعضه يحاكي التراث المشرقي أي يحاكي طرائق ابن المقفع وسهل بن هارون والجاحظ أو كتاب القرن الرابع مع ذلك كان لكل كاتب من هؤلاء خصوصيته في أخذ لون من هذه الألوان والنسج على منوالها، وإخراجها بنكهة أدبية خاصة تحدد ميوله وأساليبه.

رسالة في الاستنجاد :

كتب عبد الله بن أيمن على لسان المتوكل بن الأفطس إلى يوسف بن تاشفين يمدحه فيها ، ويستثير نخوته وغيرته على الدين ، ويذكر فضائله العظيمة ، ويحرّك في نفسه نوازع الخير ،وحضه على الجهاد لدفع العدو والثأر للمسلمين ، يقول :

" لما كان نور الهدى – أيدك الله – دليلك ، وسبيل الخير سبيلك ، ووضحتْ في الصلاح معالمك ، ووقفتْ على الجهاد عزائمك ، وصحّ العلم بأنك لدعوة الإسلام خيرُ ناصر ، وعلى غزو الشرك قادر ، وجب أن تُستدعى لما أعضل من الداء ، وتُستغاث لِما أحاط بالجزيرة من البلاء .. " .

مقدمة :

فن الرسائل فن من الفنون الأدبية النثرية التي سادت في العصر الأندلسي سيادتها في العصور العربية الأخرى، وكان لها عند الأندلسيين قسمان : قسم غايته محاكاة الأشياء أو التأمل في بعض المشكلات ومناقشتها من دون الالتفات إلى الأسلوب البياني والبلاغي، وقسم آخر بياني النزعة غايته إظهار البراعة الأسلوبية والبلاغية وهناك رسائل تجمع بين هذين القسمين. والرسالة التي بين أيدينا بيانية النزعة؛ غايتها إظهار البراعة الأسلوبية والبلاغية ، وهي من رسائل الاستنجاد ، كتبها عبد الله بن أيمن على لسان المتوكل بن الأفطس إلى يوسف بن تاشفين يمدحه فيها ، ويحثه على دفع الشرّ عن المسلمين في الأندلس ونجدتهم .

- **معاني النص :**

- بدأ الكاتب رسالته بما يمكن البدء بها في معرض طلبه الاستنجاد بالأمير يوسف لإنقاذ الأندلس من أذى الفرنجة ، ومن المنطقي أن يبدأ رسالته بمديح الأمير ورسم الصورة الجمالية الكاملة التي تجعله في قبول لما سيُتلى عليه في باقي الرسالة ، فالممدوح يمشي على صراط الحق والهدى ولا يحيد عنه ، ويتصف بحبّه فعلَ الخير ومساعدة المسلمين ، وصلاحُه بادٍ عليه في كلّ أفعاله .. ومن يتصف بكلّ تلك الصفات لابدّ أن يهبّ لنصرة أبناء دينه ، ومحاربة من يهددهم ، وأن يغيث أهل الأندلس بعدما أحاط بهم بلاء المشركين الذين يتربصون بهم شراً .

- **رموز النص التي استخدمها الكاتب ودلالاتها:**

لا يمكن للرسائل عموماً أن تخلو من دلالات تصل إلى القارئ بدرجات متفاوتة ، وفي هذه الرسالة نجد أن الكاتب عنما بدأ بمدح الأمير يوسف ذكر أن نور الهدى دليله ، هي دلالة واضحة على اقتدائه بخير البشرية محمد صلى الله عليه وسلم والسير على خطاه ، والإيمان بدعوته والجهاد دفاعاً عن حرمة دينه ، وعندما وصل الكاتب إلى موضع الاستنجاد أوضح لنا أن الأمير هو الدواء الشافي لما حل بالأندلس وما يحيط بها من مخاطر ، مما يدل على قوته وعزيمته وحبه للمسلمين .

- **المؤثرات المشرقية :**

لم يبدأ الكاتب بالبسملة والحمد كما جرت العادة في معظم الرسائل المشرقية ، لكن الكاتب ضمّن دعاءه للأمير من خلال الجملة الاعتراضية بقوله (أيّدك الله) كأثرٍ مشرقي واضح .

وعلى الرغم من قلة المؤثرات المشرقية في مضمون الرسالة ، لكن ذلك لا ينفي وضوحها من حيث الشكل .

- **الأساليب البلاغية واللغوية والتصويرية والفنية :**

١- <u>السجع</u> :

لم يكن السجع متكلَّفاً في هذه الرسالة على الرغم وفرته ، لأنه لم يكن متكلّفاً وإن لم يكن عفوياً ، وزاد من جمالية الموسيقا الداخلية للرسالة . مثل (دليلك ، سبيلك ، معالمك ، عزائمك ، ناصر ، قادر ، الداء ، البلاء)

٢- <u>البديع</u> :

جاءت المحسنات في النصّ متنوّعة بين لفظية مثل الجناس في قوله :

(دليلك / سبيلك) ، (معالمك /عزائمك) ، (ناصر/ قادر) . مما يشكّل إضافة واضحة لأنغام النص الداخلية .

والمعنوية مثل الطباق في قوله : (الإسلام / الشرك) في محاولة لإبراز التناقض الحادّ بين الشرك الذي يمثّله الفرنجة الذين يهاجمون الأندلس المسلمة والإسلام الذي يمثّله الأمير يوسف .

٣- **الألفاظ والتراكيب** :

كانت الألفاظ سهلة واضحةً وبسيطة وموحية بمراد الكاتب في خطابه الأمير الذي اتّصف بالتقوى والورع والغيرة على المسلمين ، كما في قوله : (نور ، الهدى ، دليلك ، سبيل ، الخير ، الصلاح ، على الجهاد ، العلم، خيرُ ، ناصر ، غزو ، الشرك ، الداء ، البلاء ..) ، وكذلك **تراكيب النص** كانت مترابطة ومنسجمة مع بعضها ومناسبة لأداء المعاني التي أراد الكاتب إيصالها.

٤- **الجمل الفعلية والاسمية** :

غلبت الأفعال الماضية على الرسالة مثل (كان ، أيدك ، وضحتْ ، ووقفتْ ، صحّ ، وجب ، ، أعضل) ، للدلالة على تحقق صفات الخير في الأمير وثبات وقوعها ، ورأينا الفعلين المضارعين في قوله : (تُستدعى ، تُستغاث) لإبراز تجدّد واستمرار الاستنجاد بالأمير يوسف .

ولمحنا أيضاً الجمل الاسمية في قوله : (سبيل الخير سبيلك ، أنك لدعوة الإسلام خيرُ ناصر) للدلالة على ثبوت معاني الخير والإيمان في الأمير يوسف .

٥- **الصور** :

عندما شبّه الكاتب النبي محمد عليه الصلاة والسلام بنور يستدلّ به الأمير في سيره على طريق الصلاح ، في قوله (نور الهدى) ، وجعل الأمير كالطبيب الذي يأتي بالدواء الشافي (وجب أن تُستدعى لما أعضل من الداء) مما أغنى النص جمالياً وساهم في إبراز براعة الكاتب في انتقاء صوره .

٦- **المعجم الدلالي** :

مفردات المعجم الدلالي للمفردات كانت في معظمها تدور حول الفضائل المتمثلة في شخصية ابن تاشفين، مثل (نور، الهدى، الله، الخير، الصلاح، الجهاد، الإسلام، ناصر). وقد أسهم المعجم بألفاظه في رسم صورة واضحة لصلاح الأمير وتحليه بالصفات الإسلامية، فساهمت في رسم صورة واضحة عن صفات الأمير وما يستطيع فعله .

- **خاتمة** :

- إن النثر في العصر الأندلسي لبس أثواباً عديدة وكان في بعضه يحاكي التراث المشرقي أي يحاكي طرائق ابن المقفع وسهل بن هارون والجاحظ أو كتاب القرن الرابع مع ذلك كان لكل كاتب من هؤلاء خصوصيته في أخذ لون من هذه الألوان والنسج على منوالها، وإخراجها بنكهة أدبية خاصة تحدد ميوله وأساليبه.